من هنا وهناك

رسالة من لندن

العالم فى مهاب الريح

تنفس الصعداء

تنفس الناس فى أرجاء العالم كلها الصعداء، يوم انعقدت هيئة الأمم المتحدة فى لندن منذ أسبوعين اثنين، فسمعوا خطب الافتتاح من جانب ممثلى الثلاث الدول العظمى تشيد بالاتجاه الجديد للسياسة الدولية الجديدة، وتبشر العالم فى عهده الجديد بالأخوة والمساواة والهناءة العميمة. وحسب المتفائلون أن ما احتمله البشر خلال الست السنوات التى عمت فيها نكبات الحرب وويلات الخراب والدمار، قد علم الانسان الرحمة بأخيه الانسان وأقنعه بأن التعاون والتضامن هما خير نظام لهذا الكون المتطور.

لكن...

لكن ما كاد الرئيس المؤقت — وكان هو رئيس اللجنة التحضيرية — يعرض أمر انتخاب الرئيس الدائم حتى تكشف الحال غير الحال، وتبين أن الانسان لا يزال هو الانسان، وأن المصالح لا تزال هى المصالح، وأن التنافس بين الدول لا يزال هو التنافس، وأن إساءة الظن بخاصة لا تزال هى إساءة الظن المتبادلة. وتعاقبت الجلسات بعد الجلسات، وتعاقب الخطباء إثر الخطباء، فاذا الاحساس يتجلى بأن الدول الكبيرة، لا تزال تحرص على أنها الدول الكبيرة، وبأن الدول الصغيرة لا تزال تحس أنها الدول الصغيرة، فتقول الأولى من باب الطمأنة: إن المساواة فى السيادة بين الدول الكبيرة والدول الصغيرة هى المبدأ الأساسى الذى يقوم عليه العهد الجديد ويستند إليه ميثاق الأمم المتحدة. وتقول الأمم الصغيرة إنها ترجو أن تكون تلك المساواة عند ما يجىء دور التطبيق حقيقة مادية لا مجرد حكم مكتوب من أحكام الميثاق النظرية، وتذكر تدليلا على خشيتها أن حق الرفض والاعتراض الممنوح للدول الكبرى، ولكل واحدة منهن على انفراد، إنما يتنافر تنافراً جلياً مع مبدأ المساواة الذى يلح خطباء الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والاتحاد السوفيتى فى إبرازه.

وأخيراً...

وأخيراً لا يجىء يوم السبت التاسع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٤٦ وهو اليوم العاشر

من أيام اجتماع هيئة الأمم المتحدة ، وهو اليوم الأخير من أيام فترة الجلسات العامة التي تسبق فترة أعمال اللجان والمجالس — لايجيء مساء ذلك اليوم حتى يعلن أن الوفد الايرانى قد انتهى إلى إبلاغ السكرتيرية العامة المؤقتة شكوى حكومته من تدخل السوفيتى فى شؤون إيران الداخلية الخاصة ، قصد عرض الأمر على مجلس الامن وفقاً لأحكام مادة من مواد الميثاق الذى لم يجف بعد حبر التوقيع عليه فى « سان فرنسيسكو » . وراحت الصحف وراح المعقبون فيها وفى محطات الاذاعة ، يكتبون ويقولون إن الأمر المعروض إنما هو من الأمور « الكبيرة » لأن أحد الطرفين فيه دولة كبيرة ، لها حق الاعتراض والرفض ، ولها بهذا الحق ، وقف مفعول كل قرار يصدر فى غير مصلحتها من جانب مجلس الامن أو من جانب الجمعية العامة ، وأخذوا يتساءلون من الآن : ترى هل يستعمل الاتحاد السوفيتى حقه إذا صدر قرار ضده ؟ وترى ماذا سيكون أثر موقفه فى سمعة المنظمة الدولية الجديدة وهى لا تزال بعد فى مهدها ، وهى فى شدة الحاجة إلى الدعم ، ولا سيما بعد كل تلك الهجمات التى وجهت خلالها إلى « عصبة الأمم » البائدة التى لم يكن لها من السلطان مثل ما للهيئة الجديدة فى سبيل تقدير الحق وتنفيذ القرارات ؟

الحوادث تتداعى

ولم ينقض يوم على ذلك الحادث الايرانى ، بل لم تنقض ساعات ، حتى تداعت بعده الحوادث المماثلة له فى الطبائع المخالفة فى الاتجاه . فقد جاءت الأنباء تترى بأن قيامة قد قامت فى إيران أيضاً ، ولكن فى القسم الجنوبى منها هذه المرة . والجزء الجنوبى لا تزال تحتله القوات البريتانية ، كما لا تزال تحتل الجزء الشمالى القوات السوفيتية ، وبأن القيامة ترجع إلى تدخل سلطات أجنبية فى شأن من شؤون « محافظ الاقليم » الذى ترضى عنه القبائل أو لا ترضى .

وجاءت الأنباء بعد ذلك أو فى الوقت عينه ، بأن قيامة قد قامت فى بلاد اليونان ، وأن الأحكام العرفية قد أعلنت فى غير واحد من أقاليمها ، وأن الدعاية ضد الملكية تجرف قبيل إجراء الانتخابات ، وأن هناك تدخلا أجنبياً مقترضا بناصر الملكية ويناوئ الجمهورية .

ثم لم تلبث الأنباء أن جاءت آخر الأمر بأن الحكومة البريتانية قد أوفدت فى مهمة خاصة إلى جاوة سفيرها فى موسكو ليحاول تهدئة خواطر الأندونسيين والوصول إلى التوفيق بينهم وبين الحكومة الهولندية .

ومعنى الحادثين الأولين أن فى غير « أذربيجان » تدخلات من سلطات أجنبية (ولنقرأها انجليزية) وأنه إذا كان التدخل السوفيتى قد وصل إلى أن ينظر فيه مجلس الامن فى هيئة الأمم المتحدة ، فليس هناك مايمنع — نزولا على مبدأ المساواة المقرر — من أن يصل التدخل البريتانى فى شؤون إيران الجنوبية وفى شؤون اليونان إلى المجلس ذاته أيضاً . ومعنى الحادث الثالث أن انجلترا ، وقد أحست ذلك الاتجاه فى الجو ، تريد أن تبادر إلى تهدئة الأندونسيين وإقامة التفاهم بينهم وبين هولندا حتى لا يضاف إلى الحادثين السابقين حادث تدخل بريتانى ثالث فى الشؤون الجاوية يقول القائلون بأنه يستدعى هو أيضاً أن يعرض على مجلس الأمن كما عرض الحادث السوفيتى الايرانى .

وبالفعل
ثم لم تنقض ساعات معدودات على هذه الأقوال التي تواترت في دهاليز « سنترال هول » و « تشرش هاوس » اللذين تجتمع فيهما هيئات الأمم المتحدة ، حتى عرف أن الوفد الأكراني قد تقدم بمذكرة يطلب فيها أن ينظر مجلس الأمن في الحوادث الجارية في أندونسيا ، وأن الوفد السوفيتي قد تقدم بمذكرة أخرى يطلب فيها أن ينظر المجلس ذاته في الحوادث الجارية في اليونان .

وقد استندت المذكرتان إلى ما استندت إليه المذكرة الايرانية من اعتبار ما يجرى تهديداً للأمن الدولى ، ورجعتا إلى ما رجعت إليه من حكم المادة الخامسة والثلاثين من مواد ميثاق الامم المتحدة الذى « يحرص الجميع الحرص كله على قيامه واحترامه » .

وإذن
ولا يدرى أحد مدى التطور الذى يبلغه الحادثان اللذان تداعيا أخيراً في جنوب إيران في اليونان . ولا يدرى أحد نتيجة المسعى الذى راح سر أرشيلد كلارك كار — وقد أنعم عليه اليوم بلقب اللوردية — يبذله في جاوة . ولا يدرى أحد بماذا يتمخض الغد في غير إيران واليونان وجاوة . وسيكون لهذه التطورات كلها أثر في تكييف الجو الذى ينعقد فيه مجلس الأمن للنظر في المشاكل التي صادفته غداة انتخاب أعضائه .

وإذن فالاستقرار لم يكتب للعالم بعد ، بل إنه لفي مهاب الرياح من جديد . وإذا كانت رياحه اللائحة ليست مما يهدد بعواصف عسكرية ، فهى بلا ريب مما يؤذن بزوابع دبلوماتية على الأقل . وسنرى .

في ٢٢ يناير سنة ١٩٤٦ — **محمود عزمى**

رسالة من باريس

الثقافة الفرنسية في الخارج

[نلفت القراء إلى هذه المعلومات والمقترحات الدقيقة . فقد يكون في تدبرها نفع كثير ، لأن مصر تستوفد الأجانب ، كما توفد المصريين إلى بعض البلاد العربية]

هذه المحاضرة الثانية من سلسلة المحاضرات التي ألقاها الأستاذ جان توما في مدرسة المعلمين العليا عن انتشار الثقافة الفرنسية في الخارج .

بدأ المحاضر حديثه بلفت مستمعيه إلى أن محاضراته ستقتصر على سرد بيانات ومعلومات . وغرضه من هـذا الحديث أن يبين نظام التعليم الفرنسى فى الخارج ، والطابع الخاص الذى يمتاز به هذا النظام ، وهو التنوع .

التزم مسيو جان توما خطته المنتظمة التى درج عليها فى البحث ، فعمد إلى تقسيم موضوعه إلى أربعة أقسام كبرى ينطوى كل منها على أقسام داخلية ، وانتهى إلى نتيجة استخلصها من هذه الدراسة المركزة .

القسم الأول خاص بالتعليم الثانوى

وهذا التعليم يشتمل على المدارس الآتية :

(ا) المدارس الثانوية التى تعينها الدولة الفرنسية . ووجود مثل هـذه المنشآت على أرض دولة أجنبيـة من دواعى الاعتبار والاعجاب . فنجد فى روما مدرسة ثانوية فرنسية هى « الليسيه شاتو بريان » ، وأخرى فى براج ، واثنتين فى أسبانيا . ومعظم طلبة المدارس من أبناء الجاليات الفرنسية المقيمة فى تلك المدن ، هـذا إلى أن عدداً من الشبان الوطنيين يختلفون إليها . فالليسيه الفرنسى فى لندن يشتمل على ستمائة طالب ليسوا جميعاً فرنسيين ، لكن بينهم كثيراً من الأجانب ، بل من الانجليز . وإذا كان عدد الطلبة الأجانب فى هذه المدارس محدودا فرجع ذلك إلى أن شهادة الدراسـة الثانوية الفرنسية ليس من شأنها أن تيسر أمر الطالب الايطالى أو الاسبانى كل التيسير حين يريد أن يتخذ لنفسه مهنة .

(ب) وتوجد إلى جانب ذلك المدارس الثانوية البعثة العلمانية الفرنسية ، وهـذه المدارس تعينها الحكومة الفرنسية .

(حـ) وتضم جمعية « الاليانس فرانسيز » بعض المدارس ، ولكن ليس لها حظ من الاتساع والرواج .

(ى) وتوجد فى أمريكا اللاتينية معاهد لدراسة التجارة ، ويطلق عليها خطأ اسم « المدارس الثانوية » ، وتعينها الجاليات الفرنسية فى تلك البلاد ، والسـفارات أو المفوضيات الفرنسية فى دول أمريكا الجنوبية .

(هـ) وعلينا أن نشير هنا إلى مدرسة لها حالة خاصة ، وهى مدرسة جالاتا ـ سراى فى استامبول ؛ فهى معهد وطنى تركى يطلب من فرنسا أساتذة من ذوى المؤهلات الدراسية .

القسم الثانى

إذا ما تركنا التعليم الثانوى وجدنا المعاهد ، وهى فى مستوى التعليم العالى ، والالتحاق بها مباح مبدئياً للجميع . وتلقى فيها دروس ومحاضرات عامة تتجه بصـفة خاصة إلى الذين

يتمتعون ببعض الفراغ من الوقت ، كالسيدات المتقدمات فى السن ، وآنسات الطبقة الراقية ، وأرباب المعاشات . وليس معنى هذا أنها محظورة على الطلاب . وعلينا أن نعترف بأنه يلاحظ فى مختلف أنحاء العالم شىء من « التكلف المتوارث لتذوق الأشياء الفرنسية . » وهذا الميل هو ماقصدت المعاهد إلى الانتفاع به . وطبيعى أن مديرى هذه المعاهد وأساتذتها يجب أن يكونوا على مايرام من الملاقات مع زملائهم الذين يتولون التدريس فى جامعات البلاد التى يوجدون بها . فالأمر أمر تعاون لا تنافس ، ويجب أن يفهم على هذا الوجه . هذه على الأقل الروح التى دفعت إلى أن ينشأ فى الوقت الحاضر معهد فرنسى فى كوبنهاجن . وينبغى أن تكون جميع هذه المعاهد أماكن اتصال ومراكز للثقافة الفرنسية ، تنظم فيها أحاديث ومعارض وحفلات موسيقية وحفلات استقبال الخ . . . ومن هذه المعاهد واحد فى انجلترا وآخر فى اسكتلندا ، واثنان فى أسبانيا وعدد منها فى إيطاليا ، وواحد فى كل من المدن الآتية : أثينا ، بلجراد ، زاجريب ، سوفيا ، براج . وهناك ثلاثة منها فى بولاندا لم يستأنف افتتاحها بعد ، ومنها ما كان موجوداً فى ليتوانيا واستونيا . ويرى مسيو توما أن الوقت ليس مناسباً لاستئناف فتح هذه المعاهد الأخيرة . ومن هذه المعاهد ما هو موجود فى الدول السكندناوية . وقد وجد منها فى ألمانيا والنمسا . ويفكر أولو الأمر فى إعادتها أو فى إنشاء معاهد جديدة فى هذه البلاد . ومجمل القول أن جميع هذه المعاهد الفرنسية تؤلف فى مختلف أنحاء العالم شبكة ذات حظ كبير من الخطورة والتشعب . وهذه المعاهد منوعة يجب أن نميز بينها :

(ا) فمنها المعاهد الدراسية .

(ب) ومنها معاهد البحوث .

(حـ) ومنها المعاهد المختلطة ، أى تلك التى تجمع بين الدراسات والبحوث .

وليست هذه المعاهد الفرنسية مقصورة على القارة الأوربية ، فيوجد منها فى مكسيكو وريودى جانيرو وبوانوز ايرز ومونتيفيديو . ولم يذكر مسيو توما المعهد الفرنسى بالقاهرة . ولعل ذلك كان سهواً منه . وسينشأ واحد فى الهند . وأخيراً معهد نيويورك ويعتبر مقراً لعدد كبير من الشباب القائمين بالبحوث ، يقضون فيه فترة تمرين تتراوح بين عام وعامين (وهم رجال الاتصال) . وبديهى أن يكون لذلك مقابل ، وهو فى الواقع مقابل طبيعى ، وهو إنشاء معاهد أمريكية فى باريس . والمعاهد الفرنسية فى الخارج هى خير مكان يستطيع فيه خريجو مدرسة المعلمين المحدثون أن يتولوا التدريس ـ أو أن يواصلوا بحوثهم . ومما يجدر التنبيه إليه أنها جميعاً ملحقة حتما باحدى الجامعات . ولو أن الأمر كان على غير ذلك لأصبحت موضع شبهة ، وصارت مثل هذه المنشآت التى كانت تطلق على نفسها اسم « المعاهد الايطالية أو الألمانية » والتى لم تكن إلا مراكز للدعاية والاستعلامات . وما دامت هذه المعاهد تمنح درجات علمية فهى تمنحها باسم إحدى الجامعات . مثال ذلك معهد لندن وأندبره فهما متصلان بجامعتى كان وليل ، ومن ثم فهما متصلان فى نهاية الأمر بجامعة باريس .

القسم الثالث

بعد المعاهد تأتى المدارس الكبرى . وعددها محدود جداً . نذكر منها مدرسة الحقوق الفرنسية فى القاهرة ، ومصيرها التحول عاجلا أو آجلا إلى معهد للدراسات القانونية حتى لا تنافس كلية الحقوق المصرية . ومنها أيضاً جامعة سان جوزيف فى بيروت . وهذه الجامعة تابعة للفاتيكان ؛ لأن الذين يتولون إدارتها آباء يسوعيون ، ولكنها خاضعة لرقابة جامعة ليون .

القسم الرابع

وهو خاص بأعضاء هيئة التدريس الذين يختارون شخصياً ويوضعون تحت تصرف جامعات أجنبية . ويجب هنا أيضا أن نميز بين فئات من أعضاء هيئة التدريس هذه .

(ا) فنهم أولا المدرسون . وهم إما مساعدون (وفى هذه الحالة يتولون دراسة عملية فى لغة بلادهم) ، وإما مدرسون فعلا (جنسيتهم ولغتهم أجنبيتان) . ولدى هولاندا مثلا وظائف تحت تصرف « مدرسين » فرنسيين .

(ب) ومنهم الأساتذة ذوو الكراسى ففى ريو دى جانيرو مثلا توجد كراسى جرت التقاليد باسنادها إلى الأجانب ، وللفرنسيين من بينهم مركز ممتاز . وهذه هى الحال أيضاً فى جامعتى القاهرة والاسكندرية ، وفى ذلك شىء من الاحتفاظ ببعض التقاليد القديمة . على أن نظام « الاختيار الحر » قائم أيضاً ، ويلاحظ بصفة خاصة فى الولايات المتحدة . وكأن الأمر هنا يتصل بسوق حقيقية للأساتذة . ومن الأمثلة البالغة الدلالة بهذا الصدد شغل مسيو بير منصب رئيس القسم الفرنسى فى جامعة ييل منذ ست سنوات . وقد توثقت هذه التقاليد بعض الشىء من جراء الحرب ، إلا أنها أخذت تعود وتعم فى معظم البلاد . ولا زال فى بريطانيا العظمى بعض الأساتذة الفرنسيين ، فى اكسفورد وليفربول وبرستول . ولكننا بدأنا نفقد هذه المراكز ، لأن الانجليز أخذوا شيئاً فشيئاً يشعرون فى أنفسهم بالكفاية لشغل كراسى اللغة الفرنسية والأدب الفرنسى ، وهذا أمر طبيعى . بقى أمامنا أن نقترح تعيين أساتذة مساعدين تتحمل حكوماتهم رواتبهم ، ويعيد تبادلهم بغيرهم ما انقطع من تيار فكرى بين فرنسا والبلاد الأجنبية .

ولا شك أن كل هذا يقتضينا مفاوضات طويلة ودقيقة فى معظم الأحوال ، وهو ما يجرى الآن مع البرازيل . وهنا تظهر فئة من الاخصائيين يسمون الملحقين الثقافيين أو المستشارين الثقافيين . وتختلف درجة اتصالهم بالسفارات والمفوضيات الفرنسية فى الخارج . فهم ليسوا منتظمين فى سلك موظفى الدولة ، ولا تعترف بهم وزارة المالية ، ويمكن وصفهم بأنهم مكلفون « مؤقتاً » ببعض المهمات . وكثيرا ما يكونون أساتذة من ذوى المؤهلات الدراسية أو كتاباً ، أو من رجال الأدب . ولهم بعض السلطان على الفرنسيين من أعضاء هيئة

التدريس فى البلد الذى يوجدون به . ونستطيع اعتبارهم موظفين ثقافيين ذوى صفة تنفيذية . وهم أدوات اتصال دائم بين بلدهم والخارج فى الميدان الفكرى . وفى الحق أن مهمتهم من أشق المهام، ولكنها من أنفعها .

والنتيجة التى استخلصها مسيو جان توما أنه لا يرى من مصلحة الشبان الفرنسيين أن يقضوا حياتهم فى الخارج يمارسون مهنتهم ، وأنه يرى من ناحية أخرى أن من المصلحة الملحة تجديد الأساتذة المنتدبين إلى الخارج بين حين وحين . على أن من دواعى الأسف أن الأساتذة يتعلقون بالحياة التى كونوها لأنفسهم وألفوها . ثم إنه يجب أن نواجه مايصادفهم من مشاكل إدارية عند عودتهم : فهل يعتبرون حين يرجعون إلى فرنسا فى نفس المركز الذى كانوا عليه عند سفرهم ؟

فى أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩٤٥ صدرت لائحة تنظم مركز الأساتذة الفرنسيين المنتدبين للخارج ، وتقرر أنهم سيتمتعون بنفس الحقوق التى يتمتعون بها لو أنهم عملوا فى فرنسا ، سواء من حيث العلاوات والترقيات وما إلى ذلك ، فيمكن ترقيتهم إلى وظيفة جامعية فى إحدى الكليات فى فرنسا مهما طالت غيبتهم . ويبين أحد نصوص اللائحة الحكم الخاص الذى يجب تطبيقه على هؤلاء الأساتذة سواء عينوا مدة انتدابهم للخارج ، أم عينوا عند عودتهم « على وظائف » لا تزال مشغولة حتى تخلو هذه الوظائف فينقلوا إليها نهائياً . أما الناحية المالية للموضوع فقد حلت على الوجه الآتى : يمنح الأستاذ المنتدب إلى الخارج راتباً أساسياً مساوياً للراتب الذى يمنحه فى فرنسا ، ثم يعامل معاملة موظفى السلك القنصلى أو السياسى باختلاف الوظيفة التى يشغلها . وأخيراً تمنح إعانة خاصة غير ثابتة .

على أنه يجب اليوم ان ننظر إلى الأمر من حيث إنه امر تبادل . واختتم المحاضر حديثه ذاكراً أنه يجب لذلك إعداد الأساتذة إعداداً خاصاً . فينبغى أن يقف الأستاذ الموفد إلى الخارج على ماسيلقى فى البلد الذى يندب إليه من مسائل دينية وسياسة واجتماعية واقتصادية ولغوية وخلقية الخ . . . بذلك فقط يتجنب الأخطاء التى كثيرا ما تقع حتى اليوم والتى تضر بمصلحة فرنسا ضررا بالغاً . فاذا ما وصلنا إلى تزويد الأستاذ بهذه المعلومات ، وتولى البلد الذى يرسل لنا بديلا له تزويده بمثل هذه المعلومات قبل إيفاده إلى فرنسا ، حينئذ نكون قد حققنا للطرفين فائدة فكرية وعلمية ممتازة فى سبيل فرنسا وفى سبيل ثقافتها التى ما زالت منتشرة .

مؤنس ط حسين

ادجار آلن پو

كان الادباء الامريكيون ، وما زالوا حتى اليوم ، يعتمدون كل الاعتماد فى النهضات الفكرية والتطورات الحديثة فى الأدب على الأمم الاوروبية . ولم يعرف للأمة الامريكية فى تاريخ الأدب مذهب اجتماعى يؤثر فى الأدب أو حركة فكرية تغير من اتجاه الكتاب والشعراء أو حتى مدارس فنية إلى منتصف القرن التاسع عشر حين ظهر من بينهم كاتب وشاعر عظيم كان له شأن كبير فى توجيه الأدب الامريكى ، لما أنشأه من مدرسة فنية جديدة تبعها كثيرون من الكتاب الاوروبين أولا ، ولأسلوبه فى فن القصة ثانياً ، وذلك هو أدجار آلن پو .

غير أن الأمة الامريكية ، لما اعتادته من نقل دون ابتكار أو خلق ، لم تقدر الشاعر حق قدره فأنزلته فى مرتبة ثانية من بين مراتب أدبائها ، ولم ينفق النقاد الامريكان من جهدهم لدراسة حياة هذا الشاعر إلا جزءا يسيرا لا يقارن بالجهود التى بذلها الاوربيون لدراستها . مع ان حياة پو خليقة بدراسة عميقة لما فيها من أحداث خطيرة ولما اعتراه من مؤثرات قوية وتيارات عنيفة جارفة كثيرا ما غيرت مجرى حياته وجعلت منه مخلوقاً تعساً يكتنف شخصيته كثير من الغموض ، ويحيط الابهام بكثير من تصرفاته فى حياته الخاصة وحياته الفنية . غير أن دراسة حياة الشاعر يجب ألا تطغى علينا فتمنعنا من دراسة آثاره الفنية التى أدت إلى اعتباره مؤسساً للحركة الرمزية فى الأدب ، وإلى اعتباره — وهى ناحية أخرى لا تقل عن الأولى خطرا إن لم تكن أبعد أثرا — أنه مبتدع القصة القصيرة .

ولد پو سنة ١٨٠٩ من أبوين اعتليا خشبة المسرح ، وبسم الحظ لأمه فنجحت فى هذا الميدان ، وأخفق أبوه بعد أن كان قد ترك دراسة القانون ليتفرغ للتمثيل . كانت حياة پو سلسلة من المآسى ، بدأت بفقد أمه وهو ما يزال فى الثانية من عمره . وقد تركت الأم بين يدى القدر أطفالا ثلاثة وهى لا تدرى ما يكون مصيرهم بعد أن هجرها زوجها وهى فى نيويورك . ولا نعرف بعد ذلك كثيراً أو قليلا عن حياة داڤيد پو : كيف عاش أو كيف مات ، مع أننا نعرف أنه كان مصاباً بالمرض الذى توفيت به زوجته وهو مرض الرئة . ويحدثنا پو عن موت أبيه حديثاً لا تركن إليه ولا نطمئن إلى تفاصيله ، شأن كل ماحدثنا به پو عن حياته الخاصة أو عن أسرته . ونحن لا يهمنا من داڤيد پو ومن حياته شيئاً ، غير أن هذا الغموض الذى اكتنف حياته استمر صفة خاصة لازمت حياة الشاعر . كما أن الظروف المؤلمة التى استهل بها پو فجر حياته جعلته لا يثق بنفسه ولا يطمئن إلى من حوله ، فأفسد عليه ذلك حياته العملية .

نشأ پو وهو لا يعرف أبويه ، ولكنه ورث عنهما صفات كثيرة ، أخصها ضعف البنية ورقتها ، وإن لم يكن مصابا بمرض فى رئته . ولقد أثار مرض الأم كثيراً من الشفقة والألم بين جيرانها ، فما كادت تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى توزع أطفالها كل منهم فى رعاية أسرة من الأسر . وكان أدجار من نصيب أسرة تاجر موسر ، يدعى چون آلن وزوجه التى لم يرزق منها أطفالا . ولكن حياة پو بين هذه الأسرة لم تكن مريحة ، بل قد يستطيع الروائى أن يخلق منها قصة . فهذا طفل ضعيف البنية مرهف الشعور دقيق الحس وقاد

القريحة ، بل لقد بدأت مخايل النبوغ تظهر عليه ، هذا الطفل عاش مع أب فظ غليظ القلب ضيق الصدر لا يفهم نفسيته . ولم يكن هناك من يلطف من حدة هذا الأب وقسوته إلا أم عطوف كثيراً ما حنت على صغيرها لتحاول أن تزيل آثار وحشية جون آلن . غير أن القدر يتدخل مرة أخرى فلا يترك بو ينعم بهذا العطف والحنان طويلا ، فماتت الأم وما زال بو فى أشد الحاجة إلى أن تكون بجانبه . ولم يكد جون آلن يرث عماً له حتى بادر بارسال بو إلى جامعة فرجينيا ، ولكن العلاقة توترت بين الأب وابنه بحيث اضطر بو إلى ترك أسرته غاضباً معلناً استقلاله . ومرت فترة من الزمن قبل أن يلتحق بمدرسة « وست پوينت » (الكلية الحربية) لا نعرف خلالها عن حياة بو إلا ما رواه لنا من أنه رحل إلى أوربا وانضم إلى الجيش اليونانى لمحاربة الاتراك . ويقص علينا بو مغامراته فى أوربا وما وقع له من حوادث فى فرنسا وسانت پيترزبورج .

وتدل سجلات المدرسة الحربية التى التحق بها بو على أنه كان تلميذاً مجداً . وقد كانت هذه الفترة التى قضاها بو فى المدرسة الحربية هى الفترة الوحيدة التى عاش فيها عيشة منتظمة . ولم تظهر عليه علامات التبرم من النظام العسكرى القاسى ، بل كان قانعاً به وراضياً عنه ، مما يدل دلالة واضحة على أن بو كان تواقاً إلى العيشة المربحة . وكان موت مسز آلن فى هذه الفترة سبباً لرجوعه إلى اسرته واستئناف العلاقات ، حتى إن أباه وعده بالمساعدة المادية حين عرف أنه التحق بالمدرسة الحربية وأنه مجتهد فى الدراسة . غير أن جون آلن لم يف بوعده . ولا ندرى لذلك سبباً اللهم إلا أنه مخلوق شاذ لا يعتمد عليه . فيدفع هذا بو إلى الخمر كما دفعه الضعف الذى شعر به فى جامعة فرجينيا إلى القمار . وقيل عن بو إنه لم يكن يرى إلا وهو سكران بعد أن نفض أبوه يده منه وانه استدان حتى اضطر آخر الامر إلى ترك المدرسة . وقد ألهمته الطبيعة الجميلة التى تحيط بهذه المدرسة إحدى قصصه ، وهى قصة « الحشرة الذهبية » . وكان بو يعتمد على أبيه فى وفاء ديونه فكان هذا سبباً فى اندفاعه فى هذا التيار . ومن ذلك الوقت إلى موت بو تسلط على مجرى حياته ثلاثة عوامل كان لها أبعد الاثر فى انتاجه الفنى . أما العامل الأول فهو الفقر ، دفعه الفقر ومرارته الأليمة إلى الدين ، وكلما استدان ازداد فقره وشعر بالرق والعبودية مما دفعه إلى السخط على العالم وما فيه . والعامل الثانى الذى لا يقل عن الأول قوة إن لم يفقه فى التأثير من الناحية الفنية هو الخمر ، بل المخدرات أحيانا . وأثرهما القوى فيه . وأخيراً علاقته بعمته مسز « ماريا كليم » التى عاش معها بعد تركه وست پوينت . والذى لا شك فيه أن العاملين الأولين متداخلان ، فكلما اشتد فقر الشاعر ، هذا الفقر الذى كثيراً ما بلغ أقصى حدود الحرمان أحياناً ، رمى بنفسه بين أحضان الخمر لينسى أو يحاول أن ينسى آلام العالم وهمومه التى تكالبت عليه . غير أن اللذة التى كان يجنيها من وراء الشراب كانت وبالا عليه ، لأنها أضعفت بنيته كما أثارت حوله جواً من الانتقاد المر .

أما تأثير مسز كليم فى بو فقد كان عظيما ، فان العلاقة التى قامت بينهما تختلف أشد الاختلاف عما كانت عليه حياته فى أسرته ، إذ نشأ بينهما رباط عاطفى قوى ، حتى إنه لم يستطع أن يعيش بعيداً عنها بعد موت زوجه « فرجينيا كليم » ابنتها .

ولقد كان لهذا الجو الذى كان يعيش فيه بين أحضان الأم وابنتها وما غمرتاه به من عطف ومحبة أثره القوى فى إيقاظ الشعور بالتبعة ، مما جعله يخجل من ضعفه أشد الخجل .

ولم تكن المعونة التى كانت تتلقاها منه مسز كليم ذات قيمة مادية كبيرة ؛ إذ ظل النحس حليفه حتى فى أشد أوقات الضيق والمرض ، أى مرض زوجته بالسل . غير أن آماله فى الكسب كانت واسعة ، وكثيراً ما كان يحدثها عن هذه الآمال وهى تصغى إليه وتشجعه بكل صبر وهدوء وعطف . وكثيرا ما أمضيا سهرات يقرأ لها شيئاً من كتاباته وهى تسمع لها مبدية إعجابها به وبمؤلفاته .

ولم يكن أحد من النقاد أو القراء حتى ذلك الوقت قد التفت إلى مؤلفات بو . وأخيراً أعلنت إحدى جرائد بلتيمور عن جائزة قدرها خمسون دولاراً لأحسن قصة ، وجائزة أخرى قدرها خمسة وعشرون دولاراً لأجل قصيدة . فتقدم بو بمجموعة من القصص القصيرة ، اختار المحكمون واحدة من بينها هى « مخطوط وجد فى زجاجة » ومنحت هذه القصة الجائزة الأولى مع الاعجاب الشديد ، بل أوصى المحكمون بنشر هذه المجموعة لأنها « تمتاز بخيال فطرى قوى شعرى ، كما تمتاز بأسلوب قوى وتفكير خصب مبتكر ، وعلم متنوع عجيب » .

ومع أنه لم يظفر بنجاح مادى من وراء هذه التوصية ، كان هذا الحكم بداية جديدة لحياة بو الفنية ؛ إذ ساعده أحد المحكمين فقدمه إلى أحد أصحاب الصحف . وهنا بدأ حياة صحفية عظيمة الشأن بعيدة الأثر ، ولأول مرة أصبح له راتب ثابت . ولا شك أن بو كان صحفياً بارعاً ممتلئاً نشاطاً وحيوية . فما من صحيفة تولى رئاسة تحريرها إلا تضاعف عدد القراء من خمسة أضعاف إلى عشرة أضعاف .

وكان بو يأمل أن يمتلك مجلة يسميها « القلم » فيصل بها إلى الأرستقراطية الوحيدة التى اعترف بها وهى أرستقراطية العقل . واعتقد أن تحقق هذا الأمل سيجعله من أهم الرجال لا فى أمريكا فحسب بل فى العالم أيضاً : غير أن إخراج فكرة كهذه على النحو الذى أراده لها بو كان سابقاً لأوانه . فلم يكن الجمهور الأمريكى مستعداً لقبول مثل هذه الأفكار الجديدة مع أنه تقبل التجديد الذى استحدثه بو فى الصحف بقبول حسن . وقد حاول بو عدة مرات أن يكون شريكا لأصحاب الصحف التى اشتغل فيها ، غير أن الخمر كانت السد الأساسى فى رفضهم مثل هذه الشركة . وكما كانت الخمر سبباً فى إفساد حياته الفنية وحياته الخاصة فقد كانت السبب المباشر فى وفاته ، إذ أسرف فى الشرب فى دعوة انتخابية للبرلمان الأمريكى حتى مات . واستمر بو يعمل صحفياً حتى موته دون أن يحقق أمله فى الحياة . وليس من شك فى أنه لو كان جون آلن قد عطف على هذا المخلوق الضعيف ذى الحس الدقيق لتغير مجرى حياة بو ولما اختار الأدب سبيلا إلى تحقيق آماله .

كانت حياة بو الفنية مضطربة ، وتدلنا آثاره على ذلك ، كما كانت حياته الخاصة . فبينما نجده يسمو ويرتفع فى إحدى قصصه حتى يبلغ ذروة الكمال دون أن يستطيع الناقد أن يأخذ عليه خطأ فنياً ، إذ نراه فى أخرى مشتت الذهن ، مضطرب الفكر يكاد يهذى . ولا يعلل هذا الاضطراب إلا بتأثير الخمر الشديد فيه بل تأثير المخدرات أحياناً . فقصة « قناع الموت الأحمر » . قصة ممتازة لا أثر للخطأ فيها من الناحية الفنية ؛ وهى تدل على مهارة صانعها ومقدرته كما تمتاز بطرافة الفكرة التى تقوم عليها .

ويقال عن بو فى هذا الميدان إنه مخترع القصة القصيرة ، وإنه أول من حمل لواءها . والحقيقة التى لا جدال فيها أنه لو لم يكن بو ، ما كانت المجلات على شكلها الحالى . والحق أن القصة البوليسية بدأت فى التوراة كما تذكرنا بذلك دوروثى سايرز . وقد اكتشف بو

القصة المفزعة عند الألمان . وتاريخ القصة العلمية التحليلية يعود إلى سيرانو دى برجراك ، او إلى لوشيان ، غير أن بو قام بعمل عظيم وخطوة واسعة ، لأنه قرب كل هذه الأنواع المختلفة من القصص إلى الجمهور وحببه لها ، كما وصل بها إلى درجة الكمال . أما من الناحية الفنية فقد اخترع طريقة فعالة مؤثرة لرواية القصة فى قليل من الكلمات يتراوح بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف كلمة . وكان بو أول من أدرك أن على القاص أن يرمى إلى هدف معين ، وأن كل ما يقال فى هذا المجال يجب أن يكون له علاقة بهذا الهدف ، حتى يستطيع القارئ أن يرى كل الحوادث مجتمعة كالبرق الخاطف ، فمن الأسطر الأولى لقصة « سقوط آل اشر » ، يشعر القارئ بالجو القابض الذى تخلقه الكلمات ، كما يتوقع الأحداث الفاجعة التى تدور عليها القصة . ولا يمكننا أن نتصور طريقة أخرى أروع ولا أجمل من تلك التى كتب بها قصتا « الهوة والبندول » و « مخطوط وجد فى زجاجة » .

ولقد كان تأثير بو فى القصة البوليسية عظيما . ومن العسير أن ترى فنا من فنون القصة له من الاتباع ما لفن بو ؛ فقد احتذاه عدد عظيم من الفنانين أمثال جابريو وكونان دويل الخ ، أولئك الذين ساعدوا على تطور القصة ونموها . وقد اعترف كونان دويل صراحة بفضل بو عليه ، كما أن التراجم الفرنسية لقصصه حركت الفن وألهبته عند جابريو وكان بو واضع أقوى تقليد فى هذا النوع من القصص ، وهو وجود شخصية أخرى إلى جانب البوليس السرى تتأثر وتدهش وترتبك من حوادث القصة حتى يكشف لها البوليس عن الحقيقة. وإليه أيضاً يعود الفضل فى بدء القصة بحادث تام فى ذاته يظهر قوة إدراك البوليس السرى للأمور حتى يهيأ القارئ للمعجزات التى ستتابع فى القصة نفسها . ففى « جريمة فى شارع مورج » نرى دوبان ، رجل البوليس السرى ، يرد على أفكار صديقه التى لم يكن قد حدثه عنها شيئاً ، ثم يفسر له دوبان بعد ذلك الطريق الذى اتبعه فى رده على تأملاته . وهذا يظهر عبقرية بو الطبيعية من ناحية بنيان القصة القصيرة . وهكذا ساهم بو بأهم نصيب فى هذا الفن فن تسلية القارئ مع مساهمته فى ميادين أخرى للقصة . ويجب أن نقف قليلا عند القصة البوليسية من ناحية أنها مظهر من مظاهر عقلية بو وطبيعته ، فهى تمثل على شكل قوى رغبته الملتهبة فى إظهار تفوقه على الآخرين . وكثيراً ما قال فى كتاباته إنه يستطيع أن يحل أى رسالة مبنية على ألغاز حرفية تكون مكتوبة باللغة الفرنسية أو الايطالية او الأسبانية أو الالمانية أو اللاتينية أو اليونانية أو أى لهجة من لهجات هذه اللغات . وقد اختبره أحد القراء فأظهر براعة فائقة بالرغم من أن الطريق الذى سلكه يبدو الآن بسيطا ؛ ولكنه يدل دلالة واضحة على إعجابه بقوة ذكائه ومقدرته .

وقصة « وليم ويلسون » قصة رمزية . وهذا ميدان جديد فى القصص طمح إليه بو . وكان يأمل أن يوفيه حقه . ولا شك أن الفكرة التى دارت حولها القصة كانت نواة لأسكار ويلد عند ما كتب « صورة دوريان جراى » . غير أن بو فى وليم ويلسون تكلم عن شخصية مزدوجة ، لا صورة ، ينشب بينهما صراع عنيف ينتهى بقتل الشخصية الشريرة ، ولكن بعد تحطيم حياة بطل القصة . وفى هذه القصة بعض الحقائق الواقعية ؛ إذ أن النقاد وجدوا صلة بين حياة وليم ويلسون المدرسية وبين ذكريات بو عن هذه الفترة ، وتعبر هذه القصة جميعها عما كان يشعر به بو . حقا أنه لم يرتكب جريمة كما لم يقم بأفعال مزرية كما فعل ويليم ويلسون ، ولكنه أتلف قواه ومقدرته على العمل ، وباستسلامه لأهوائه خيب آمال الذين كانوا يعتمدون

عليه ؛ فرأى خطاياه بصورة مجسمة وشعر بندم عظيم وألم عبر عنه بكل قوة وجمال .

ولا نجد فى قصص بو خيالا أخصب مما نجد فى « سقوط آل أشر » . فالقصة هنا صورة لما كان يعانيه بو من آلام أزعجته . وما الصورة التى تصورها لنا هذه القصة إلا مرآة لروحه . وهنا نجد خلاصة لأقصى مساهمة ساهم بها بو فى الأدب العالمى . والقصة عنوان للضعف ، غير أنه من إغراق النفس فى الضعف إلى هذا الحد استمدت قوتها وروحها . ولا شك أن روح بو تجلت فيها على أكمل وجه مما حببها إلى المعجبين بها من غير الأمريكان . فلهذا ولقوتها ولاسرافه فى الوصف للمبدع وطريقة عرضه للأمور ، تعد هذه القصة القصيرة من أسمى وأعظم ما كتب .

لم يكن بو قاصاً من الطراز الأول وشاعراً وناقداً فحسب ، بل كان كذلك حلقة اتصال أساسى للتطور العقلى ، كما أنه يعد رمزاً أو ، على وجه أصح ، مصدر إلهام للحركة الروحية التى قامت بعد موته واستمرت زهاء نصف قرن . ولا شك أن منزلة بو فى الأدب الأمريكى لا ينافسها فى هذا الميدان إلا والت ويتمان الشاعر .

ترجمت مدام اليزابث مونيه بعض قصص بو . ومن هنا بدأت الحركة الرمزية التى يعد بو منشئها : إذ أنه وجد فى بودلير تلميذاً متحمساً قصر حياته على نشر حكمة أستاذه وتعاليمه . ويستطيع مؤرخو الأدب الرجوع ببداءة الحركة الرمزية إلى ذلك الوقت . ومع أن عناصر هذه الحركة وجدت أثناء الحركة الرومانتيكية ، لوجودها عند كولردج مثلا ، فانها لم تقو وتظهر إلا على يدى مبدعها بو وتلميذيه بودلير وڤيرلين ، وقد كانا سبباً فى نشرها فى داخل فرنسا وخارجها . ولم تكن الحركة الجديدة إلا رد فعل لكل أحداث ذلك العصر ؛ فهى ثورة على الثمرات التى جنيت بفضل الثورة الفرنسية ، وهى ثورة على الثورة الصناعية وعلى البلوم وما أشبه . وترمى الحركة الرمزية إلى تحريك العاطفة والشعور عن طريق الاشارة . وتأثير بو فى ڤرلين فى « فنون الشعر » Art Poétique واضح . ولم يكتف ڤيرلين بمحاولة اقتفاء آثار بو الأدبية ، بل حاول تقليده فى طرق معيشته وفى استسلامه لأهوائه وإشباع رغباته . وقد أينعت مجهودات بو وآتت ثمارها بعد موته بفضل تلامذته العظام ڤرلين وبودلير ، فاندفع الكتاب الأوربيون وراءهم فى هذا التيار الجديد . ونجد مالارميه فى « حلم لذيذ » rêve caressant يترجم أشعار بو ترجمة جميلة . وكانت عناية بو باللفظ وبالناحية الفنية وقوداً ألهبت الكتاب من بعده ، حتى إن عناية رمبو باللفظ فاقت عناية واضع هذا التقليد . وضمت الحركة إليها مترلنك فى بلجيكا وغيره آخرين فى البلدان الأوروبية . وأخيراً يعد ميتس الشاعر الايرلندى ، وهو أعظم شعراء عصره ، وريث بو الوحيد .

وعلى هذا النحو تتجلى عظمة بو وتلامذته ؛ فهم قوم استسلموا لأهوائهم وأشبعوا رغباتهم ، فانغمسوا فى الشراب والملذات ، وحاربوا وتألموا ، ولكنهم أخرجوا إلى العالم جمالا جديداً رآه فى حياتهم ومؤلفاتهم . ولا شك أن فى آثار بو لطريق من طرق الجمال ما جعله أحد هؤلاء القلائل الذين يؤدون أجل الخدمات للأدب والانسانية .

راهيه فهمى